D O I : 10.18860 /ijazarabi.V8i3.34062
I S S N (p r i n t) : 2 6 2 0 - 5 9 1 2 | I S S N (o n l i n e) : 2 6 2 0 - 5 9 4 7
e j o u r n a l . u i n - m a l a n g . a c . i d / i n d e x . p h p / i j a z a r a b i / i n d e x

The Influence Of Qur'an On Al-Akhtal's Poetry Ghiyath Ibn Ghawth

أثر القرآن في شعر الأخطل غياث بن غوث

Tariq Mohammed Farhan Al- Salamin
Isra University, Jordan
tariq.alsalamin@iu.edu.jo

Abstract
The importance of the subject lies in shedding light on the Qur'anic influence on the poetry of Al-Akhtal, the Christian poet. There are differences between finding a Qur'anic influence on a Christian poet, but the Holy Qur'an captured people's minds with its eloquence and style. The research aims to demonstrate the impact of the Holy Qur'an on Al-Akhtal's poetry and to represent examples of his poetry in that influence. The study relied on the descriptive analytical method by searching for the Qur'anic verses that influenced Al-Akhtal and employed in a way that completely suited his poetic purposes, the researcher reached a set of results, which are: Al-Akhtal's adherence to his theory was not so much a commitment to his religion and faith as it was a result of his tribal religious heritage, the Holy Qur'an, with its rhetorical miracles and the secret of its artistic beauty, was the best tributary to enrich poets' creativity, deepen their experiences, and imbue them with creative beauty.
Keywords: Arabic; Poetry; Al-Akhtal; Influence; Rhetoric; Style

مقدمة

شاعرية الأخطل (Naser Al Deen;1986;p3-4): لقد أطلَّ على عالم الشعر فجأة، وجاء بفنٍّ شعريٍّ متكامل الأداء، متمالك لصنعة الشعر وأسرار العبارة، ملمّ بالتاريخ، قادر على تحويل مادته والإفادة منها في ابتداع معانٍ جديدة، لقد كان يتقصّى في الشعر القديم ويحفظه ويتمثله حتى غدا ملمّاً بأسراره وخفاياه وصناعته. وعلى الرغم من أن الشعراء والكتّاب والخطباء في العصور الأدبية قد نهلوا من القرآن الكريم، واستهدوا بأسلوبه ومضامينه فإنَّ دارسي الأدب ونقّاده القدامى لم يُعنوا بالأثر الذي تركه القرآن الكريم في الأدب العربي، ولم يخصصوا لهذا التأثير جانباً مستقلاً من دراستهم إلاَّ قليلاً. وإذا قال قائل: إنَّ الأثر القرآني نجده في أي نصّ، فإنَّ الواجب يدفعنا إلى أن نقف عند هذا الأثر،وندرسه ليس من باب التناص الديني فحسب، بل لإبراز الأثر الفنّي والفكري الذي تركه القرآن الكريم في الشعر من جانب، ولبيان الأسلوب الذي أفاد منه هؤلاء الشعراء من القرآن الكريم شكلاً ومضموناً من جانب آخر.

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وقد جاءت هذه الدراسة لتسلّط الضوء على موضوع الأثر القرآني في شعر الأخطل، كمحاولة لبيان مدى صلة هذا الشاعر بالقرآن الكريم رغم نصرانيته وعدم اعتناقه للدين الإسلامي، ولدى قراءة الباحث لديوان الشاعر وجد الأثر القرآني واضحاً جليّاً غير أن مواضع التأثر كانت قليلة جداً، فرأى أن يجري دراسة موجزةٍ لبيان هذا التأثر. وقد تكوَّن البحث من مقدمة وتمهيد ثم ثقافة الأخطل الدينية ومنزلته الشعرية ثم إضاءات حول الأثر القرآني عنده، ثم تناول الباحث أثر المعاني ثم الألفاظ ثم القصص القرآني في شعر الأخطل، وتلا ذلك خاتمة تبين خلاصة النتائج.

ليس ثمة شك أنَّ القرآن الكريم قد بهر العرب بأسلوبه الفني المعجز، وقيمه الفكرية والتشريعية السامية، فهو دستور الله الخالد للبشرية جمعاء، وهو صانع التراث ومصدره الأكبر، فلا عجب إذن أن نجد شاعراً نصرانياً كالأخطل يتأثّر به ويستلهم معانيه، ومن يقرأ ديوان الأخطل يجد فيه أشعاراً من روح الإسلام استمدّها الشاعر من القرآن الكريم تُظهر لنا أنَّ تعلّقه بالنصرانية لم يكن التزاماً للدين والعقيدة بقدر ما كان موروثاً دينياً لقبليته تغلب، ولكي نؤكد تأثره المباشر بالقرآن الكريم لا بدّ لنا من شواهد حيّة من شعره تثبت لنا حقيقة هذا التأثر.

يقول الشاعر في وصف الخمرة(Al-Akhtal;2005,p63):

حيينا حياةً لم تكن من قيامةٍ علينا ولا حشرٍ لنا به موعدُ

فيلاحظ وجود معانٍ قرآنية كالحشر والقيامة.

ويقول في مدح قريش وبشر بن مروان(Al- Akhtal;2005;p63):

فاليوم أُجهد نفسي ما وسعت لكم وهل تُكلّف نفس فوق ما تسعُ

ففي البيت إشارة واضحة لقوله تعالى: (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) .(Sorah Al-Bakarah; 286) ونجده في موضع آخر يقول في ذكر ما كان من أمر الأمويين ومعاوية في موقعة صفّين Al Hawi;1979;p89):

ويوم صفّين والأبصار خاشعةٌ أمدّهم إذ دعوا من ربهم مدد

إنَّ الذي يقرأ البيت يستحضر قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) (sorah Al Anfal;9) .

لعلّ هذه الشواهد تدلّ على تأثر الأخطل بالقرآن الكريم، إذ يمكن القول إنَّ هذا الكتاب العظيم استطاع أن يمدَّ الأدب شعراً كان أم نثراً بروحٍ جديدة، ويضفي عليها أساليب بلاغية رفيعة، لينهل منه الشعراء ويستهدوا بأسلوبه ومضامينه.

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ثقافة الأخطل الديني ومنزلته الشعرية

لم يقف الدارسون على تاريخ ولادة الأخطل ووفاته، ولكن ثمّة من يرى أنَّه توفي سنة اثنتين وتسعين للهجرة، أي في خلافة الوليد بن عبد الملك التي امتدت من سنة ست وثمانين إلى سنة ست وتسعين، وقد كان الخلفاء والأمراء المسلمون من بني أمية يهيبون به إلى اعتناق الإسلام، فكان يجد من دون ذلك مشقة وعنتاً، إذ كان بعضهم لا يزال يعيّره بنصرانيته وسخر منه بها، ويدعوه إلى التخلي عنها، فصمد لذلك كله وأقام على دينه متباهياً به متفاخراً، حتى قيل إنه كان يدخل على عبد الملك مخموراً وفي عنقه صليب من ذهب، وقد ورد عنه أنه كان يؤدي أعمال التقوى والمجون معاً، فينزع من بعضها إلى بعضها الآخر في لحظة واحدة، ليختلط فيها الورع والمجون في نفسه، وهذا يدل على أن الأخطل لم ينظر في أمر النصرانية نظرة أخلاقية أو روحانية، ولم يتثقف بها، بل إنَّها كانت بالنسبة إليه جزاً من تراث قبيلته ومن تاريخها، وقد تلقفها وانخرط فيها كأحد تقاليدها وعاداتها(Al Hawy; p25-26).

وأما مكانته الشعرية فقد كان الأخطل أعرابياً بدوياً عاش في قصر الملوك إذ كان شاعراً مادحاً متكسباً، يشتغل بشعره وينقحه مدة قبل إنشاده، وقد شُهد له بالشاعرية عند كثيرٍ من معاصريه، روي أن هارون الرشيد سأل جماعة من جلسائه وأهله: أي بيتٍ مُدح به الخلفاء منّا ومن بني أمية أفخر؟ فقالوا وأكثروا، فقال الرشيد: أمدح بين وأفخره قول ابن النصرانية في عبد الملك(١):

شمس العداوة حتى يُستقاد لهم وأعظم الناس أخلاقاً إذا قدروا

وأما عن شهادات شعراء عصره فيه، فقد قال جرير: ابن النصرانية أرمانا للفرائص وأمدحنا للملوك وأوصفنا للخمر. وأما الفرزدق فقد أجاب عبد الملك بن مروان حين سأله: من أشعر الناس في الإسلام؟ فقال: كفاك بابن النصرانية إذا مدح (Naser Al Deen; p15-17).

الأخطل والأثر القرآني (إضاءات)

معلوم أنَّ القرآن الكريم هو المثل الأعلى للبيان العربي، يضاف إلى هذا قدسية آيه ومعانيه في نفوس المسلمين، وكان نزوله معجزةً أذهلت العرب جميعاً لأنَّهم وجدوا فيه بياناً رائعاً وروعةً أخذت ألبابهم وسحرت قلوبهم مؤمنين وكافرين (Al – Safar;1974; v1). ولمّا كان القرآن الكريم هو الصورة المثالية في مبانيه ومعانيه، فقد تأثر الأخطل بمعانيه وأفكاره العالية من ناحية، وبأسلوبه وتركيبه من ناحية أخرى رغم نصرانيته التي أبت عليه أن يعتنق الإسلام، فنجده يأتي بمعانٍ جديدةٍ من واقع الدين الجديد إذ يقول.(Al-Aktal;p63):

شربناً، فمتنا ميتة جاهلية مضى أهلها لم يعرفوا ما محمدُ

حيينا حياةً لم تكن من قيامةٍ علينا ولا حشر لنا به موعدِ

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

تتردد في البيتين معانٍ متعددة منها الجاهلي: كشرب الخمر والميتة الجاهلية، ومنها المستفاد من واقع الدين الإسلامي كالحشر والقيامة. فالشاعر يذكر الميتة الجاهلية التي لم تكن الخمرة محرمة فيها، ثم ينتهي إلى ذكر البعث والقيامة والحشر، وهذه المعاني مستمدة من الدين الإسلامي، إذ وردت في القرآن الكريم في مواضع عدة كقوله تعالى: (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ). (Sorah Al Kyamah;1)، وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(Sorah Al Momnoon;79) . إنَّ وجود معانٍ إسلامية في شعر الأخطل تؤكد امتلاكه ثقافة إسلامية، وقدرة متألقة على تحويل هذه الثقافة إلى نسغ شعري يجسد صفة الشعرية لنصّه.

أثر المعاني القرآنية في شعر الأخطل

لقد وجدت المعاني القرآنية طريقها في شعر الأخطل رغم نصرانيته، إذ يمكن القول: إن العقيدة الدينية وقيمها الفكرية وكتابها الأكبر (القرآن الكريم) استطاعت أن تسري في مجالات الحياة كافّة في العصر الأموي، لهذا كان لا بد لشاعر كالأخطل أن يتأثر بمعاني القرآن الكريم ولغته ويجسّد منها صوراً فنية استطاع من خلالها أن ينظم قصائد شعرية شهد له بها معاصروه، فقد قال فيه أبو عمرو بن العلاء: "لو أدركت الأخطل يوماً واحداً في الجاهلية ما قدمت عليه أحداً"، وقال جرير: "أدركت الأخطل وله ناب واحد، ولو أدركته وله ناب آخر لأكلني به"(Naser Al Deen;p16-17).

ومن المعاني القرآنية التي وردت في شعره.

أسماء الله تعالى وصفاته

لقد وجد في شعر الأخطل كثير من المعاني القرآنية، كانت أسماء الله تعالى وصفاته في طليعتها، فقد تناول بعض هذه الأسماء ووظفها في شعره توظيفاً يكشف جانباً من ثقافته الدينية، يقول في إحدى قصائد المدح(Akhtal;p209):

لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والمعوّل

فهو في هذا البيت يخاطب عبد الملك بن مروان ويشكو ما أوقعه الجحّاف (ابن حكيم السلميّ) في التغلبيين من فتك وقتل لم يكد ينجيهم منه إلاَّ الله، ففي قوله: إلى الله منها المشتكى تأثر بقوله تعالى على لسان يعقوب: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ) (sorah Yousef;86) ، وهي الآية التي تشير إلى موقف يعقوب والد يوسف عليهما السلام في قصّته مع أبنائه (Ismail;2003;v1) ، فكأنَّ الشاعر استلهم المعنى في الآية الكريمة وصاغه في صورةٍ لفظية جديدة وفي سياق معنوي قريب من السياق الذي وردت فيه الآية القرآنية الكريمة.

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وفي قصيدة يمدح فيها الأخطل جرير بن عبد الله البجليّ يقول: ()

قومٌ يظلّون خشّعاً في مساجدهم ولا يدينون إلاَّ الواحد الصمدا

فقوله: ولا يدينون إلاَّ الواحد الصمدا فيها إشارة لقوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ! اللَّهُ الصَّمَدُ)(sorah Al Eklas,1-2) ، إذ يمكن القول: إنَّ ثقافة الأخطل الدينية مكّنته من اقتباس هذه المعاني وتوظيفها توظيفاً ينسجم مع روح النص. ونجده في مدح خلفاء بني أمية يقول(Akhtal;p6) :

هم الذين أجاب الله دعوتهم لما تلاقت نواحي الخيل فاجتلدوا

لعلّ بروز الصفة الدينية تنمُّ عن تكيّفه بالنسبة إلى مقتضى الحال وواقع السياسة في مدحه، إذ كان الأمويون يحرصون على تثبيت دعوتهم، والذي يهمّنا في هذا الإطار هو التأثر القرآني في قوله: أجاب الله دعوتهم، فهو يستمد المعنى من قوله تعالى:(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (sorah Gafer;60).

ومن المعاني القرآنية في شعر الأخطل (الصلاة)

لقد ذكرت الصلاة في القرآن الكريم في آيات عديدة، ولعل الأخطل استوحى معانيها من خلال تلك الآيات، ففي قصيدة يهجو بها بني عبس يقول(Hawi;p280) :

ولا يصلّي على موتاهم أحد ولا تُقبَّل أرض الله ما قبروا

فالناس لا يترحمون على موتاهم ولا يصلّون عليهم، كما أنَّ الأرض ذاتها ترفض موتاهم وتأبى أن تضمّهم في جوفها، إنّ استخدام الشاعر لمعنى الصلاة في البيت السابق قريب من قوله تعالى: (وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ(sorah Tawbah;84) ، فكأن الشاعر يستحضر المشهد القرآني ويجسّده بدقة ليساهم في التعبير عن الموقف الذي يريده. وروي أن الأخطل مرَّ يوماً في بني رؤاس ومؤذنهم ينادي للصلاة، فقال له بعضهم: ألا تدخل يا أبا مالك فتصلي؟ فقال(Akhtal;p160) :

أُصلّي حيث تدركني صلاتي وليس البرُّ وسط بني رؤاس

فالصلاة من المعاني القرآنية التي تأثر بها الأخطل، وإذا ما أردنا تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بفريضة الصلاة، فإنَّنا نقف عند قوله تعالى: (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا)(sorah Nesaa;103) والسؤال الذي يمكن طرحه في هذا المقام: هل قصد الشاعر في بيته المعنى القرآني الوارد في الآية الكريمة؟ ربما تكون الإجابة نعم، فلقد روي أنَّه كان يؤدي أعمال التقوى والمجون معاً، فينزع من بعضها إلى البعض الآخر في لحظةٍ واحدةٍ، ذلك أنَّه لم ينظر في أمر النصرانية نظرة أخلاقية أو

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

روحانية، ولم يتثقف بها ويفطن إلى مراميها الزهدية، بل إنَّها كانت بالنسبة إليه جزءاً من تراث قبيلته ومن تاريخها، وقد تلقّفها وانخرط بها كأحد تقاليدها وعاداتها (Al- Hawi;p29) ، روي أن هشام بن عبد الملك سمعه مرة يقول(Al- Hawy;p31):

وإذا افتقدت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

فقال له هشام: هنيئاً لك، أبا مالك هذا الإسلام، فقال له الأخطل: يا أمير المؤمنين ما زلت مسلماً في ديني، وهذا ما يؤيد ما ذكرناه آنفاً من أن بقاءه على النصرانية كان جانباً قومياً أو قبلياً.

وتأتي معاني الصلاة في صور أخرى في شعره، يقول في مدح مَصْقلة الشيباني(Akhtal;p188) :

كأنه ساجد من نضخ ديمته مسبح قام بعض الليل فابتهلا

فلعلَّ إشارة الأخطل للصفة الدينية في وصف ممدوحه تنمُّ عن تكيفه بالنسبة إلى مقتضى الحال، فهو يُعظِّم ممدوحه من خلال أصله، والبيت توحي دلالته باستحباب صلاة قيام الليل والذكر والتسبيح، فكأنَّ الشاعر يستمد المعنى من قوله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) (sorah Al Ensan;26).

ويروى أنَّ عبد الملك بن مروان حاول أن يدعو الأخطل إلى الإسلام، فقال له: لِمَ لا تسلم يا أخطل؟ فقال: إن أنت أحللت لي الخمر ووضعت عني صوم رمضان أسلمت، فقال عبد الملك: إن أنت أسلمت ثم قصّرت في شيء من الإسلام ضربت الذي في عنقك؟ فأنشد الأخطل(Akhtal;p57):

ولست بصائم رمضان يوماً ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بقائمٍ كالعير يدعو قبيل الصبح "حي على الفلاح"
ولكني سأشربها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباح

فإذا كان الخليفة يراود الأخطل عن دينه ويرغبّه في الإسلام، فإنَّ الأخطل يبدو ماجناً مستهتراً فيما يجيب على تلك الدعوة، فمضمون الأبيات يذكّرنا بقوله تعالى: (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا) (sorah Al Maedah;58) . فالأخطل الذي جاهر في نصرانيته بشكل علنيّ وظلّ الصليب الذي أهدته إياه أمه معلقاً في عنقه إلى حين وفاته(Naser El Deen;p58) يستمد بعض معاني شعره من القرآن الكريم، كيف لنا أن نفسّر هذا الموقف المتباين؟ لعل تعلقه بالنصرانية يؤكّد ما ذكرناه سابقاً لم يكن التزاماً للدين والعقيدة بقدر ما كان مجرد حفاظٍ على موروثٍ ديني لقبيلته تغلب التي لم تدخل الإسلام كلها.

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ومن المعاني القرآنية الأخرى التي وجدناها في شعر الأخطل (الموت):

يقول الأخطل في هجاء كعب بن جُعيل(Akhtal;p11):

أنا الموت الذي حُدّثت عنه فليس لهاربٍ منه نجاء

إنَّ المعنى الذي أراده الشاعر واعتمد فيه على الروح القرآني هو أنَّ الموت إذا وقع فلا مردَّ له ولا دافع وهو حتم مقضيّ (sharad;1987;v1;p37) ، فكأنَّ الشاعر بهذا المعنى يستحضر قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) (sorah Al Jomah;8).

وفي قصيدة غزليةٍ له بعنوان: ذريني فلا مالي يردّ منيّتي، يقول(Akhtal;p184):

أعاذل إنَّ النفس في كفِّ مالك إذا ما دعا يوماً أجابت له الرسلا

ذريني فلا مالي يردّ منيّتي وما إن أرى حيّاً على نفسه قفلا

لقد استمدَّ الشاعر أبياته من قوله تعالى: (حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ) (sorah Al Anam;106)، وقوله تعالى: (أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ(sorah Al Nesaa;78). إنَّ اتجاه الأخطل الشعري في البيتين السابقين لم ينحرف عن المفهوم القرآني لفكرة الموت، فالتصوّر لفكرة الموت –كما وردت عنده- تدعو إلى الفهم الصحيح والدقيق كما وردت في القرآن الكريم.

وفي موضع آخر نجده يقول(Akhtal;p223):

فما أنا من حبّ الحياة بهاربٍ من الموت إن جاشت عليَّ مسايله

إنَ الفكرة التي تضمنّها البيت لا تخرج عن المعاني القرآنية المتعلقة بذكر الموت، فالشاعر يُقرّ بفكرة الموت ويؤمن بها، موقناً أن لا قدرة له على ردّ الموت، فكأنه يستلهم المعنى من قوله تعالى: (قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (sorah Al Emran;168).

وفي قصيدة يمدح فيها همام بن مطرف التغلبي، يقول(Akhtal;p229) :

وأعلم أن المرء ليس بخالدٍ وأنَّ منايا الناس يسعى دليلها

فالشاعر ألمَّ بما ورد في قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) (sorah Al Anbeaa;34)، وقوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) (sorah Al Zomor;30) ، فهذه الصورة التي عرضها الشاعر نقلها عن صور القرآن الكريم، فالأخطل النصراني لم ينحرف عن المفهوم القرآني لفكرة الموت، ولم تلتبس عليه الرؤية، ولم تمنعه نصرانيته من فهم التصوّر القرآني المتعلق بقضية الموت.

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

أثر الألفاظ القرآنية في شعر الأخطل

ليس ثمة شك أنَّ اللفظة في اللغة العربية لها مكانة كبيرة، وقد أولاها القدماء اهتماماً كبيراً، يقول الجاحظ: "المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنَّما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج" (Al Jahed;1938;v3;p131) ، ويقول ابن رشيق: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه ويقوى بقوّته" (Al Kayrawani;1972;v4;p124) ، ويرى بعض المحدثين أن اللفظة في العربية "تشعُّ بالحياة إذا استعملها عقل خبير بفن القول، وفنون الأساليب الأدبية، ومدرك لدقة وضعها، وما يناسبها في معنى يشاكلها في دقة الدلالة" (Al Solami;1980;p68).

أما اللفظة القرآنية فقد اتّسمت بسمات وخصائص لا يدرك حقيقتها إلاَّ من سخّر وقته للتبحّر في سرّ ذلك الإبداع والجمال الفني الذي يتسم به القرآن الكريم، ومن خصائص اللفظة القرآنية:

١. إنَّها تشعّ بالحياة لأنَّها مصوّرة وناطقة ومعبرّة وموحية.
٢. الدقة في الوضع والاختيار والوصف والمعنى والتناسق(Al Solami;1980;p52).

وبعد هذا التقديم الموجز عن اللفظة، فإنَّنا نحاول معرفة ما وصل إليه الأخطل من تأثّر بالألفاظ القرآنية. لقد استخدم الشاعر لفظتي: المنّ والحسد، والمنّ وردت في قوله تعلى: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ sorah Al) (Bakarah;262 ، وأما الحسد فقد وردت في قوله تعالى: (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (sorah Falag;5)

يقول الأخطل في مدح عبد الله ويزيد ابنيّ معاوية بن أبي سفيان (Akhtal;p67) :

قوم إذا أنعموا كانت فواضلهم سيباً من الله لا منٌّ ولا حسدُ

إنَّ معاني كلمتي المنّ والحسد في البيت الشعر لا تبتعد عن المعنى القرآني، إذ يمكننا القول: إنّ استخدام الأخطل لهذه الألفاظ منح شعره بُعداً دينياً كأنَّه يصدر عن حسٍّ قرآني. ومن الألفاظ القرآنية الأخرى (أولى فأولى) إذ وردت في قوله تعالى: (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى !ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) (Sorah Al Keyamah;34-35) ، فقد وظفهما الأخطل في شعره إذ يقول في هجاء بني كلب(Akhtal;p107):

أولى فأولى بني ماويّة انتشرت منكم قريباً، وأولى منك يا زُخر

لعلّ الشاعر استفاد من هذه اللفظة موقناً بقدرتها على تصوير المعنى، إذ لو لم يكن له صلة بالأجواء القرآنية لما جاءت هذه اللفظة بهذه الكيفية، ولا نبالغ إذا قلنا: إنَّ هذه اللفظة ساعدت على تداعي المعاني في مخيلة المتلقي ذي الثقافة القرآنية(Sharaad;p116).

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وقد وظّف الأخطل ألفاظاً قرآنية قريبة من نصِّها القرآني الذي وردت فيه، ومن شواهد ذلك قوله في وصف ما حلَّ بديار القيسيين بعد أن نكَّل بهم التغلبيون(Al Hawi;p141):

فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كأنَّهم من بقايا أمةٍ ذهبوا

فكأن الشاعر في مطلع البيت ينظر إلى قوله تعالى: (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ) (sorah Al Ahkaf;25)، فلفظتي: (أصبحوا وساكنهم) وردتا كما في الآية الكريمة، وأما الفعل ترى فقد أبدل ياء المضارعة تاءً مع بقائها في صيغة المبني للمجهول.

إنَّ هذا التأثّر يدل على قدرة الأخطل النصراني على استلهام النص القرآني عن طريق استيحاء أفكاره ومعانيه وصوره وصياغته بقوالب شعرية جديدة.

ومن الألفاظ القرآنية التي نجدها في شعر الأخطل: "ريحاً صرصراً" التي وردت في قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ) (sorah Foselat,16) ، حيث وظفها الشاعر إذ يقول – مخاطباً الجحّاف- وهو من أعداء بني تغلب(AlHawi;p257):

أجحّاف إن تصطلكّ يوماً فتصطدم عليك أواذي البحور الزواخر

تكن مثل أقذاء الحباب الذي جرى به الماء أو جاري الرياح الصراصر

فهو يقول للجحّاف: إذا اقتحم عليك التغلبيون بأمواجهم الزّاخرة، فإنَّك تصبح كالزّبد الطافي على موجهم الهدّار الذي تعصف فيه الريح الباردة الصرصر.

ومن الألفاظ القرآنية التي استعان بها الشاعر: (آووا ونصروا) الواردة في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) (sorah Al Anfal;74) ، فقد استخدم الأخطل هاتين اللفظتين في مدح الأمويين، إذ يقول(Al-Hawi;p124):

بني أمية قد ناضلت دونكم أبناء قوم هم آووا وهم نصروا

فالشاعر أفاد من القرآن الكريم بعض الألفاظ التي كان يطرب لها الممدوح، ولا غرابة في ذلك، فالأخطل لم يكن شاعر بلاط يتلقف فتات مائدة الملوك، بل إنَّه سفير قبيلته العظيمة تغلب التي تدافع عن الأمويين بسيوفها كما يدافع هو بلسانه(Al-Hawi;p124).

لعلَّ هذه الشواهد كافية لإظهار لغة القرآن الكريم في شعر الأخطل، حيث استمدَّ بعض الألفاظ القرآنية مستفيداً من جمالها اللغوي وطاقتها التعبيرية، وما من شك في أنَّ هذه الألفاظ كانت رافداً من الروافد التي استقى منها الأخطل ما يحلو له في جواهر الألفاظ القرآنية، الأمر الذي يعكس إعجابه واهتمامه بلغة القرآن الكريم (Al Ani;2002;v1;p70).

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

أثر القصص القرآني في شعر الأخطل

لقد جاءت القصّة في القرآن الكريم لتحقيق مقاصد وأغراض عديدة منها: الدعوة إلى الحق، والهداية إلى مواقع الخير، وتقويم الأخلاق، وتزكية النفوس، وتهذيب الطباع، وتثبيت قلب النبي وتأييده، وتثبيت العقائد الصحيحة ونفي الخرافات والأفكار القديمة(Ismail;p13-15).+

والقصص القرآني ليس عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، بل إنَّ القصة القرآنية وسيلة من وسائل القرآن الكريم لتحقيق هدفه الأصيل. والقرآن الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها (Qotob;1980;v6;p117) ، لهذا لم يسمِّ القرآن الكريم القصص (أخباراً) لأنَّه لم يقدمها كما تقدم الأخبار المجردة خالية من التصوير الفني، ولم يسمّها (حكايات) لأنَّه لم يسردها كما يسرد الحكايات التاريخية(Rabee;2001;v1;p9) . وفي لمحة سريعة سنسلط الضوء على القصة القرآنية وعلاقة الأخطل بها في شعره، لمعرفة طبيعة تعامله مع هذه القصة وطريقة إيراده لها في نصوصه الشعرية ومدى نجاحه في توظيفها كدليل تأثُّره بالنص القرآني.

ومن القصص القرآني التي تأثر بها الأخطل قصة موسى ، فقد تعددت آيات موسى ومعجزاته كما ذكرها القرآن الكريم حتى بلغت التسع، قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) sorah) (Esraa;101 ، حيث أفاد الأخطل من هذه الشخصية في التعبير عن أغراضه وتجاربه الشعرية، ومن ذلك قوله مفتخراً بقومه بني تغلب(Akhtal;p126):

فقد نهضت للتغلبيين حية كحية موسى يوم أُيد بالنصر

إن هذه الصورة الرامزة مستمدة من قصة موسى، حيث أيده الله تعالى بمعجزة العصا، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في آيات عدة منها قوله تعالى: (قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) (sorah Taha;20).

فقد أوجز الشاعر بذكر القصة بلمحةٍ خاطفة معتمداً في ذلك على ثقافة المتلقي الذي يشاركه ثقافته وتوجهه، وما من شك في أن هذه الصورة التي استمدَّ الأخطل أجزاءها من القرآن الكريم أضفت على شعره عنصراً جمالياً، لأن القرآن الكريم سحر العرب بقيمته التصويرية قبل أن يسحرهم بقداسته الدينية، وعليه فإنَّ استحضار الشاعر لهذه الصورة أكسب شعره عمقاً وثراءً وحرك في فكر القارئ ووجدانه مشاعر وأجواء دينية تحمل دلالات كثيرة(Salameen;2010;p71) . ومن القصص الأخرى التي أشار إليها الأخطل في شعره قصص يوسف وهارون وداوود ونوح عليهم السلام، يقول الشاعر في مدح يزيد بن معاوية(Akhtal;p71):

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

جـزاك ربـك عـن مســتـفـرد وحـد نـفـاه عـن أهـلـه جـرم وتشـريـد
مسـتشـرف قـد رمـاه النـاس كلهم كـأنـه مـن سـمـوم الضـيـف سـقُّـود
جـزاء يـوسـف إحسـاناً ومـقـفـرةً أو مـثـلـمـا جـزي هـارون وداود
أو مثل ما نال نوح في سفينته إذ استجاب لنوح وهو منجودُ

فالشاعر يمدح يزيد وينوّه بما كان من أمر حمايته له بعد تشرّد في الهاجرة، حتى هزل وبات كالقضيب الذي يُشوى عليه اللحم، ويرجو من الله تعالى أن يثيبه على هذا الفعل بمثل ما أثاب يوسف وهارون وداوود ونوح عليهم السلام، وهؤلاء الأنبياء –صلوات عليهم أجمعين- وردت قصصهم في القرآن الكريم في مواضع عدة نذكر منها قوله تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا) (sorah Hood;42) ، وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء) (sorah Yousef;56) ، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) (sorah Al Safat;114) ، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ) (sorah Saba;10).

لقد استطاع الأخطل أن يولد معاني شعره من هذه القصص القرآنية، ويستمد من مفرداتها وصيغها ومعانيها ما يثبت قدرته على تحوير النص القرآني وتقديمه في قالبٍ شعري جديد، ليجيء دور المتلقي في الكشف عن صورة تلك المشاهد. وإذا أعدنا النظر في طريقة تناوله للمشهد القرآني المتعلق بالقصة، فقد كانت طريقة إشارية دون تفصيل، إذ ذكر طرفاً وترك للمتلقي خيار التحليق في فضاءات التحليل، ولعل هذا الأسلوب يتماشى مع طبيعة الشعر التي تكره الإطناب والشرح والتفصيل وتحب الإيماء واللمح والإشارة.

الخاتمة

من خلال الصفحات السابقة يمكن القول: إنَّ القرآن الكريم شكّل رافداً مهماً من روافد ثقافة الشعراء، وليس أدلّ على ذلك من تأثّر الأخطل النصراني بهذا الكتاب العظيم، وقد تبين للباحث من خلال قراءته لديوان الأخطل أن التأثر القرآني، وإن كان قليلاً في شعره، كشف عن مجموعة من النتائج، منها: إن تمسك الأخطل بنصرانيته لم يكن التزاماً منه لدينه وعقيدته، بقدر ما كان موروثاً دينياً تعصبياً لقبيلته تغلب، ثم إن القرآن الكريم بإعجازه البلاغي وسر جماله الفني كان خير رافدٍ يغني إبداعات الشعراء ويعمق تجاربهم ويضفي عليها جمالاً فنياً يمتلك القدرة على تمثل المواقف وتجسيدها في صور متعدد، وقد تجلى ذلك من خلال تسليط الباحث الضوء على تأثر الأخطل بالمعاني والألفاظ والقصص القرآني.

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

فقد كان للمعاني القرآنية حضور واضح في شعر الأخطل، فأسماء الله تعالى، والصلاة، والموت كلها معانٍ طرقها الأخطل، وقد صيغت بأسلوبٍ رائع يكشف عن قدرته على تطويع النص القرآني لخدمة أغراض شعره الفنية. وأما الألفاظ القرآنية، فثمة ألفاظ استخدمها الشاعر مؤمناً بقدرتها على تصوير المعنى، وهو ما يؤكد لنا إن ألفاظ القرآن الكريم تشعّ بالحياة لأنها مصورة وموحية ومعبرة. وأما القصة القرآنية فقد ظهرت في شعر الأخطل من خلال إشارته وتلميحاته إلى قصص الأنبياء عليهم السلام إذ كان يتمثل الحدث الشعري ويمثّل له بقصة أحد أنبياء الله بناءً على ورودها في القرآن، وهو ما يدفعنا إلى القول إن القصة القرآنية لم تكن مجرد حدثٍ يُقرأ للتسلية، إنما جاءت لأهداف سامية منها تثبيت العقائد الصحيحة ونفي الأفكار الباطلة، ولعل هذا ما دفع الأخطل للاستشهاد بها في بعض أشعاره.

قائمة المراجع

Al-Quraan AL-Kareem

Al-Akhtal, G.G.(2005). Diwan al-Akhtal. introduction by Abd Al-Rahman al-Mustawi. Beirut: Dar al-Ma'rifa.

Al-Ani, M. S.(2002). The Influence of the Holy Qur’an on Andalusian Poetry Baghdad: Dar Al-Shu’un Al-Thaqafiyah.1st ed.

Al-Hawi, E. (1979). Al-Akhtal: His Biography, Psychology, and Art .Amman: Dar Al-Thaqafa.

Al-Qayrawani, I. R.(1972). Al-Umdah fi Mahasin al-Shi'r wal-Adabuh wal-Qariduhu. edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid.Beirut: Dar al-Jeel Vol. 1.
4th ed.

Al-Rubaie, A.(2001). Qur'anic Stories in Andalusian Poetry. General Directorate of Cultural Affairs. 1st ed.

Al-Salameen, T. (2010). The Influence of the Holy Qur'an on Andalusian Prose Discourse
in the Fifth Century AH. unpublished master's thesis. Karak, Jordan: Mu'tah
University.

Al-Saffar, I. M(1974). The Influence of the Qur'an on Arabic Literature in the First Century AH. Baghdad: Al-Yarmouk Press. 1st ed.

Al-Salami, O. (1980). The Artistic Miracle of the Qur'an.Tunis. Abdul Karim Abdullah
Foundation.

Ateeq, A. A. (1986). History of Literary Criticism Among the Arabs. Beirut: Dar Al-Nahda
Al-Arabiya. 4th ed.

Ismail, M. B.(2003). Stories of the Holy Qur'an from Adam to the Companions of the Elephant. Cairo: Dar al-Ma'arif .1st ed. Nasir Al-Din, M. M. 1986. Diwan Al- Akhtal.Beirut:Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

Nasir Al-Din, M. M. (1986). Diwan Al-Akhtal.Beirut:Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
Qutb, S. (1980). Artistic Imagery in the Holy Qur'an. Beirut: Dar Al-Shorouk. 6th ed.
Sharrad, S. A. (1987). The Influence of the Qur'an on Modern Arabic Poetry, Damascus.Syria: Dar Al-Ma'rifa. 1st ed.

Copyright © 2025, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)